للذكرى والتاريخ

طيبة تستقبل فرعون مصر

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

في كتابه قصة المومياء

[إلى جانب المصريين نحن حقاً برابرة]

تيوفيل جوتييه

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

بالقرب من سلسلة جبال ليبيا يقع حي ممنون الذي يسكنه من يهيئون حاجات الموت ، لأن عمله لا ينقطع أبداً ، وعبثاً تنتشر الحياة بفضولها ، فالمصائب تحهز ، والتوابيت تغطى بالنقوش الهيروغليفية ، وبعض الأجداث الباردة ممتد على سرير الموت ذي القوائم التي تحاكي أرجل الأسد أو ابن آوى وينتظر أن يزين الزينة الأبدية .

ولدى الأفق الجبال الليبية تتضح قممها الجيرية فوق صفحة السماء النقية ، ويبدو جسمها الأجرد الذي نحتت فيه النواويس والقبور .

وعندما يتجه المرء ببصره إلى الجانب الآخر من النهر لا يجد المنظر أقل من ذلك جمالاً : فأشعة الشمس تكسو باللون الوردي سفح سلسلة جبال العرب ، والهيكل الضخم الهائل لقصر الشمال استطاع البعد أن يصغره قليلاً ، وقد نهضت أبراجه من الجرانيت ، وأعمدته الهائلة فوق منازل المدينة ؛ وأمام القصر تمتد ساحة فسيحة تسلم إلى النهر بسلمين على الجانبين ، وفي الوسط طريق الكباش يقود إلى برج ضخم ، يسبقه تمثالان هائلان وزوج من المسلات العالية يقطع رأساها الهرميان زرقة السماء الصافية .

وإلى الخلف من أعلى حائط السور يبدو جانب معبد آمون ، وإلى اليمين قليلاً ينهض معبد « خنسو » ومعبد « أفت » ويرى وجه برج ضخم ، ومسلتان طولها ستون ذراعاً تبينان مبدأ هذا الممشى الهائل ، ذي الألف من التماثيل التي جسمها جسم أسد ورأسها رأس كبش ، ويمتد هذا الممشى من قصر الشمال إلى قصر الجنوب ، وعلى جانبيه ترى هذه التماثيل الكبيرة مستديرة النيل

وبعيداً من ذلك يتراءى غير واضح في الأشعة الوردية أفاريز عليها قرص الشمس الساحر ناشراً جناحيه الواسعين ، ورءوس التماثيل الضخمة ذات الهيئة الوادعة ، وزوايا الصروح العالية ، والطنوف المنضدة ، ومسلات من الجرانيت ، ومجموعات من النخيل يتفتح سعفها كأنه باقات من العشب ، وقصر الجنوب قد زها بحيطانه العالية الملونة ، وسواريه المزينة بالأعلام ، وأبوابه المائلة ومسلاته ، وقطمان أبي هوله ؛ وفضلاً عن هذا ، كلما امتد الطرف استطاع أن يرى طيبة تمتد بقصورها وكليات كهنتها ومنازلها ، ويجد خطوطاً زرقاء ضعيفة ، تشير في نهايات الأفق إلى قمم الأسوار ورءوس الأبواب

كان ميدان العرض شاسعاً قد مهد بعناية لإبداء العظمة العسكرية ، وبه أطورة يجب أن يكون قد استخدم فيها طيلة سنوات عديدة عشرات الأجناس التي قيدت إلى مصر مستعبدة ؛ وهذه الأطورة تكون إطاراً بارزاً لهذا المستطيل العظيم ، وخلفها حيطان من اللبن مصنوعة بانحناء ، ويقف عليها ، على ارتفاعات متفاوتة مئات الآلاف من المصريين الذين يظلون في اضطراب دائم ، هذا الاضطراب الذي يميز الجمهور ، حتى حين يبدو أنه لا يتحرك ، وتلمع في الشمس ملابسهم البيضاء أو المزخرفة بألوان ناصعة .

وخلف هذا النطاق من النظارة تجد المجلات والعربات والهوادج ، يحرسها الحوذيون والسائقون والعبيد ولها منظر شعب راجل ، فقد كان عددها عظيما جداً ، وإن طيبة عجيبة العالم القديم كان بها من السكان ما يربى على بعض الممالك

وكان الرمل المجتمع الدقيق للميدان الواسع المحاط بمليون رأس ، يلمع كأنه معدن براق تحت ضوء يسقط من سماء زرقاء ، كأنها مينا تماثيل أوزيريس

إلى الجانب الجنوبي من ميدان العرض ينقطع البناء ، وينفتح طريق محاذ لسلسلة جبال ليبيا ، ويمتد إلى بلاد النوبة العليا ، وفي الجهة المقابلة ينشق الجدار ، ويسمح للطريق أن يستمر حتى قصور رمسيس ، عابراً بين الحيطان الضخمة

سمعت من بعيد ضجة عجيبة مبهمة قوية ، كضجة البحر ، حين يقترب ، وغلبت ضوضاء الجماهير . وهكذا يُصمت زئير الأسد مواء جماعات ابن آوى . وبعدئذ أخذت تتميز أصوات الآلات من بين هذه العاصفة الأرضية التي أثارتها عربات الحرب

والمشية المتزنة للرجال من المحاربين ؛ وقد ملأ هـذه الناحية من السماء غبار مصفر كهذا الذى تثيره رياح الصحراء ؛ ومع ذلك كان الجو راكداً فلم تكن تهب نسمة واحدة ؛ وأدقُّ سعف النخل ظل ساكناً لا يتحرك ، كما لو كان منحوتاً من الجرانيت على رءوس أعمدة من الصخر ؛ ولم ترتعش على الخدود الندية للسيدات شعرة واحدة ، والعصائب المزخرفة التى زينهن بها الخلاقون تمتد متكاسلة خلف ظهورهن

هذا الغبار الناعم قد أثاره الجيش وصار فوقه كسحاب أشقر

زادت الضوضاء ، وانشقت عاصفة الغبار ، وبدأت الصفوف الأولى من الموسيقيين تبدو فى الميدان الواسع لتنعش الجمهور الذى بدأ يتعب من الانتظار تحت شمس تذيب الجماجم إلا جماجم المصريين

وقفت طليعة الجيش من الموسيقيين بضع لحظات ، وأخذ جماعات القسس والمنتخبون من أعيان مدينـة طيبة يعبرون ميدان العرض ليستقبلوا فرعون ، واصطفوا على هيئة سياج ، عليهم أعظم مظاهر الاحترام ، وتركوا الطريق حرًّا لمرور الموكب

لقد كانت الموسيقى التى تستطيع وحدها أن تكوّن جيشاً صغيراً ، تتألف من الطبول والطنابير والأبواق والصلاصل

مرت الفرقة الأولى تغنى لحناً مدوياً هاتفاً بالنصر ، فى أبواق قصيرة من النحاس اللامع كأنه الذهب ، وكل واحد من الموسيقيين يحمل نفيراً آخر تحت إبطه ، فكأن الآلة هى التى تتعب لا الرجل

كان زى هؤلاء الجند مكوناً من نوع من السراويل قصيرة ، مضمومة بمنطقة طرفاها العريضان يتدليان إلى الأمام ، ومن عصابة غرس فيها ريشتان من ريش النعام ، تختلفتا الاتجاه ، وهذه العصابة تضم شعرهم الثقيل . ووضع الريش كذلك يذكرنا بقرون الجمارين ، ويمنح الذين يتزينون بها منظراً غريباً كالحشرات

وضاربو الطبول يلبسون دروعاً مثناة خشب ، ويضربون بقضب من خشب الجميز جلد حمر الوحش لطبولهم المعلقة بحمالات من الجلد ، متبعين النسق الذى يعينه رئيس لهم يضرب بكفّيه ، وكثيراً ما يتجه إليهم

يأتى بعد ضاربى الطبول اللاعبون بالصلاصل ، وهؤلاء يهزون آلاتهم بحركات عنيفة متقطعة ، ويدقون فى نظام حلقاتهم المعدنية على قضب أربعة من البرنز

وحاملو الطنابير يعرضون أمامهم طنابيرهم المستطيلة والمحمولة بعصابة خلف أعناقهم ، ويدقون عليها بقوة بقابض أيديهم

كل جماعة من الموسيقيين ليست بأقل من مائتى رجل ، ولكن عاصفة الضوضاء التى تنتج من الأبواق والطبول والصلاصل والطنابير ليست بذات خطر ، ولا هى مخيفة تحت قبة السماء الواسعة ، وفى وسط هذا الفضاء الشاسع ، وبين طنين هذا الشعب ، وعلى رأس جيش يتقدم وله عجيج المياه الثجاجة

وهل كثير أن يتقدم ثمانمائة من الموسيقيين ركب فرعون ، محبوب آمون — رع ، والذى أقيمت له التماثيل الضخمة من اليازلت والجرانيت ترتفع إلى ستين ذراعاً ، وقد نقش اسمه على الآثار الخالدة ، ونحت تاريخه وصور على حيطان ردهات المعابد ذات الأعمدة ، وعلى جدران الأبراج ، والأفاريز التى لا تنتهى ، وصور صوراً لا حصر لها ؟ أيكون كثيراً على ملك قابض على ناصية مائة شعب مغلوب ؟ على حاكم يؤدب الممالك بسوطه من أعلى عرشه ؟ على شمس حية تبهر الأعين وتزينها ؟

(البقية فى العدد القادم)

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

قريبـا

المرأة التى نبذت عبادة الشمس وارتحلت
إلى سليمان لتؤمن بالواحد القهـــار

قريباً تظهر قصـة الصراع بين الحق والباطل
القصة التى سيصفق لها اليهود والنصارى والمسلمون

بلقيس

للأستاذ محمود شلبى

مسرحية فى أربعة فصول

« قيل لها أدخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (قرآن كريم)

ميدان الأوبرا - مصر

دار الـــكتب الأهلية

تليفون ٤٩٥٦١

نقدم فهرست من مختلف الكتب ببعض محتوياتها

ص	
١٢	سارة للعقاد
١٢	هتلر فى الميزان للعقاد
٥	هدية الكروان للعقاد
١٥	عهد الشيطان توفيق الحكيم
١٥	سلطان الظلام » »
١٠	المنقذة لمحمود بك تيمور
٨	صور جديدة من الأدب الغربى لكامل كيلانى
٢٠	اعترافات الغزالى للدكتور عبد الدايم البقرى
١٥	هكذا أغنى للشاعر محمود حسن اسماعيل
١٥	ملامح المجتمع العراقى للدكتور زكى مبارك
١٠	الشخصية الناجحة للأستاذ سلامه موسى
١٥	المريد للأستاذ سليم سعده
١٥	سميراميس » » »
١٢	الاستمتاع » » »
١٢	نداء القلب » » »
١٠	تمثيليات كليلة ودمنة للأستاذ ابراهيم عز الدين
٧	كيف تنجح فى الحياة لأحمد أبو الخضر منسى
١٠	مفتاح كتاب الحياة لصالح سالم هيكل بك
١٠	أشواق للأستاذ محمود أبو الوفا
١٨	الفنون الجميلة للأستاذ محمود فؤاد
٥	رسائل الوطواط جزآن للعلامة رشيد الدين الوطواط
٥	قصة الجوع لمحمود حسنى العرابى
٥	أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى لعبد العزيز جاويش
١٠	العظماء للفيلسوف اليونانى بلوطرخوس
١٥	التعاون للأستاذ أحمد لاشين
٥	فن البيع وتجارة التجزئة
٣	الوردة البيضاء لمحمود متولى
٢	الصدى الحزين لشفيق سكر
٣	السعادة الزوجية وضع زوجة
٥	بولين للأستاذ أبو بكر المنفلوطى
٣	الألعاب السويدية لابراهيم أبو جبل
٢	التمرينات الرياضية
٢	التمرينات الفرنسية
٢	حديقة الحيوان لمحمد اسماعيل ابراهيم
١٢	صور إسلامية جزآن للأستاذ المتعهدى
٥	رد الامام الدرامى على بشر العنيد

ص	
٢٠	الأسماء والصفات للبيهقى
٨	أدب الدنيا والدين
٨	تاريخ الخلفاء الراشدين
٥	الانسان والدنيا
٢٠	مجمع الآثار العربية لابراهيم السيد عيسى (مجلد)
١٥	خلاصة فنون الحرب لليوزباشى مصطفى حلمى (مجلد)
١٥	تاريخ الطيران للأستاذ محمد على بحجوب
٨	فن القراءة والكلام والالقاء للدمياطى بك
٨	الروائح العطرية والصناعات الزراعية لفؤاد سركيس
١٥	النجاة فى الحكمة المنطقية والآلهية للرئيس ابن سينا
٥	البكتريولوجيا الزراعية للدمياطى بك
٢	مبادئ علم النبات » »
٢	سنتان فى السودان لمحمد صالح
٢	ديك الجن الحمصى لطاهر الجبلاوى
٥	هزى الثامن للأستاذ عبد الرحمن فهمى
٢	القصص التاريخية للأستاذ عمران فرج
٥	زعامة الشعر الجاهلى للشيخ عبد المتعال الصعيدى
٥	أبو المتاهية للشاعر العالمى » » »
١٥	منار الرشد للأستاذ ابراهيم السيد اسماعيل
٥	الميراث فى الشريعة الاسلامية لعبدالمتعال الصعيدى
١٥	تفسير سورة الفاتحة للامام الفخر الرازى (مجلد)
٥	أسرار الناشئين وطرق مكافحتهم
١٥	تاريخ الموسيقى العربية تعريب اسكندر شلفون
١٠	العلامات الموسيقية أو علم النوتة » »
٥	أوزان الألحان الموسيقية للأميرالاى محمد ذاكر بك
٢٠	لكل من السنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة من مجلة روضة البلابل بها ٢٠ قطعة موسيقية (مجلده)

دائرة المعارف المنزلية للآنسة بسيمة زكى

ص	
٢٠	المجلد الأول من دائرة المعارف فى المنزل الحديث
٢٠	المجلد الثانى من دائرة المعارف فى الرياضة والصحة والجمال
٢٥	المجلد الثالث من دائرة المعارف فى الصناعات المنزلية
٢٠	المجلد الرابع من دائرة المعارف فى الطبخ العالمى
٥٠	المنزل والفتاة الرشيقة للآنسة بسيمة زكى (بمجلدة فاخرة)
٧٠	الطهى الحديث والصناعات المنزلية للآنسة بسيمة زكى (بمجلدة فاخرة)
١٥	الفطائر والحلوى للآنسة بسيمة زكى

جميع المراسلات والحوالات والشيكات ترسل باسم مديرها رشدى فهيل